الفصل الثاني

الاتجاه الوطني القومي في الشعر الفلسطيني المعاصر

من ١٩١٨ إلى ١٩٦٨م

أ ـ مفهوم الاتجاه الوطني القومي

في مطلع هذا الفصل نشير إلى أن كلمة «قومي» ـ وهي مصدر ـ منسوبة إلى قوم، وهم الجماعة من الناس الذين تجمعهم جامعة يقومون لها. والقوميّ هو الذي يؤمن بوجوب معاونته لقومه، ومساعدتهم على جلب المنفعة ودفع المضرّة[١]. وقوم العربي هم أقاربه عصبية، وهم العرب جميعاً، وبالتالي فإن هذا الاتجاه يختصّ بالشؤون العربية من تضامن وتعاون ووحدة، ونحو ذلك...

ب ـ الاتجاه الوطني القومي في الشعر الفلسطيني المعاصر

مقدمة لدراسة هذا الاتجاه

العرب أمّة واحدة، توحّد بينها منذ فجر التاريخ عوامل عديدة أهمها وحدة اللغة والثقّافة والمنافع والتاريخ والمصير. وقد كرّم الله العرب وأنعم عليهم نعماً كثيرة، أهمها:

١ ـ أنه بعث فيهم نبيّاً عربياً هو محمد بن عبد الله ﷺ.

---

(١) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٧٤.

obeikandl.com

٢ ـ وأنزل عليهم القرآن الكريم باللغة العربية

٣ ـ وجعل لغة أهل الجنّة هي اللغة العربية.

وهذا ما يدعو إلى شكر الله على هذه النعم وطاعته ونبيّه الكريم، والمحافظة على كتابه العزيز «القرآن»، ولغتنا العربية المجيدة.

والاتجاه الوطني القومي في الشعر الفلسطيني يشتمل على الأفكار والموضوعات القومية العربية تجاه الأمة العربية، وقد ساعد على ظهوره تفتّح القوميات وظهورها في كثير من الدول الأوروبية، فسرت الأفكار القومية إلى بلاد العرب من عدة سبل: كالبعثات الثقافية، والعلاقات التجارية، ومدارس الإرساليات وغيرها..، ونشأت في العالم العربي أفكار وحركات أخذت تنمو يوماً بعد يوم، حول الحرية والديمقراطية والمساواة والعدل والأنظمة البرلمانية والإصلاح الاجتماعي وما إلى ذلك[1].

وأصبح الشعور القومي الذي يجمع بين كل الناطقين بالضاد هو الأساس في قيام الوحدة العربية والتعاون العربي في المجالات المختلفة.

والشعراء يعانون ما يعانيه أبناء الأقطار العربية، ويشعرون كما يشعرون، ومن هنا فإننا نقع في شعرهم على أصداء للأحداث والمشكلات التي أحاطت بهم، وعلى صور لذلك الظلام الدامس الذي ينتظرون زواله، ويعملون على التعجيل في الخلاص منه، وكثيراً ما يحدّدون الداء ويصفون الدواء، وينيرون الطريق لأمّتهم.

فشعرهم من هذا القبيل هو صوت الضمير العربي الذي يشارك في الأحداث والمناسبات، ويستثير الهمم، ويلهب الأنفس، ويشحذ العزائم، من أجل بعث قوميّ، يعيد إلى العرب ماضي عزّهم، وسالف سيادتهم ومجدهم.

ويمكن القول إنّ شعر الاتجاه الوطني القومي يُعَدّ شعراً ملتزماً وصادقاً

(١) أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر العربي، ص ١٣٥.

تجاه القومية العربية، وما يتصل بها من شؤون كثيرة، فقد يستنهض الهمم من أجل تحرير فلسطين تارة، ومن أجل دعم الجزائر أو الوحدة العربية تارة أخرى.

وتشير كل الدلائل إلى أن الحسّ العروبي في قصيدة الشعر الفلسطيني حسّ متقدّم، ومن جهة ثانية فإن حلّ قضية فسطين بل تحرير فلسطين يعتمد ـ وإلى حدّ بعيد ـ على وحدة الصف العربي والمشاركة العربية الواسعة والمخلصة... والواقع أنّه لا الشرق ولا الغرب ولا الصديق يساعد العرب ويحرّر فلسطين أو غيرها من بلاد العرب إذا لم يتعاون العرب ويعملوا جميعاً على تحرير بلادهم.

ويبدو جلياً أن استقلال البلدان العربية، واتّحادها، وازدياد قوتها، وتعاونها، وصدّ العدوان عليها وانتصارها، يساعد على تحرير فلسطين، وهذا كلّه يرتبط بالشعر الوطني بلا ريب، ويصبّ في مجراه.

وممّا لا شكّ فيه أن شعراء فلسطين واكبوا الأحداث التي شهدتها فلسطين وسائر أقطار العرب، وظلّوا باستمرار عناصر فاعلة فيها جميعاً، ومؤثرة في مفاهيم الجماهير، لا سيّما الفلسطينية منها، ويؤكّد ذلك على أنّهم حملوا هموم الوطن العربي كلّه، وعكس شعرهم همومه وآماله، ومن الجدير بالذكر أن الشعراء العرب قاموا بدور مماثل تجاه مختلف قضايا العرب، والأحداث التي شهدتها بلادهم.

ونخلص من هذا إلى القول بأن هموم الشعراء العرب مشتركة، وأنهم يقفون في طليعة العاملين لما فيه خير العرب وسيادتهم وتقدمهم، ويبذلون في سبيل ذلك كل جهد ممكن، ويجودون بأرواحهم كلّما دعت الحاجة، وأنه في وسعهم أن يلعبوا دوراً مهماً يؤثر في مجرى العرب المعاصر وأحوالهم من جديد...

ومن الطبيعي أن يتفاعل الأدب مع أحداث الأمة، ويؤثر فيها إيجاباً..

وأبرز شعراء الاتجاه الوطني القومي هم: إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، محمد العدناني، إسعاف النشاشيبي، برهان الدين العبوشي، حسن البحيري، محمود سليم الحوت. كمال ناصر، هارون هاشم رشيد، يوسف الخطيب، ومحيي الدين الحاج عيسى.

لقد نشطت الجهود في هذا الاتجاه في مناسبات وأحداث رئيسة، وقف خلالها شعراء فلسطين وقفات واعية كريمة، سنقدم أمثلة عليها في ما يلي:

أولاً: العروبة والشعور القومي

يربط بين العرب شعور مشترك، فضلاً عن اللغة والتراث والتاريخ والمصير، يجمعهم ويؤلف بينهم ليكونوا أمة واحدة متميزة عن سائر الأمم، وهو يقوى ويشتد في المناسبات والأحداث والاحتفالات، والحروب التي تهدّد سلامة الأمة وأرضها ومصالحها، ومن هنا فإن منبع القومية وبذرتها الأصيلة هو حبُّ الأهل. وقد أصبحت القومية من العوامل التي تؤثر في تطوّر الدول وتكوّن الأوطان.

ومن المعلوم أن القومية أسهمت في حلّ مشكلات متنوعة واجهتها الأمّة، منها الاقتصادية والثقافية والعسكرية وغيرها، كما أن العديد من المشكلات ينتظر الجهود القومية الفائقة كي يبصر النور، وبمقدمتها قضية فلسطين.

وقد أولى شعراء فلسطين العروبة والشعور القوميّ أهمية كبيرة في قصائدهم، وأبرز هؤلاء محمد العدناني، محمود سليم الحوت، وكمال ناصر وغيرهم.

١ ـ يؤكد الشاعر محمود سليم الحوت، ابن العائلة الوطنية العريقة،

أن العرب أمة واحدة، تجمع بينها المشاعر المشتركة تجاه المصير الواحد، وأن القومية درع الأمة، ثم يستنهض الشعب العربي، ليحافظ على كرامته وعزّته وإبائه قائلاً: [الخفيف]

إنّما العرب أمةٌ قد حباها الـ ـلّه نبضاً مقدّساً عبقريّا
في سواد العراق في مصر والشام وفي المغرب الحبيب قصيّا
في ربوع الرياض في كل صَقْعٍ مشرقياً أكان أم مغربيّا
سوف لا ينقضي زمانٌ طويلٌ والعدوّ المبين يبقى وصيّا
فأنتفض شعبنا الكريمَ أبيّاً لا يعيشُ الكريمُ إلاّ أبيّا[1]

وفي موقع آخر يدعو الشاعرُ الرئيسَ الراحل جمال عبد الناصر أن يُبلغ اليهود بحتمية انهيار ما بنوه في فلسطين حيث يقول: [الخفيف]

قل لهم يا جمالُ لم يَبْقَ منكمْ غيرُ ظُفْرٍ شحذتموه وناب
لم تُحَطّمْه وثبةٌ بعدُ لكِنَّ لنا عودةً وحسنَ مآب
إنَّ ما قد بَنَوا بأرض فلسطيـ ـنَ سينهارُ كالجليد المذاب
كيف يبقى على الزمان ويحيا وهو في غاية السيوف العِراب
لن يروا مسخهم كياناً سويّاً بل أعاليم من تِبابٍ يباب[2]

٢ـ ويبدي محمد العدناني العزم والتصميم على صون العروبة وحمايتها، لتبقى عزيزة مجيدة، والعرب يذودون عنها بالسلاح ويفدونها بأرواحهم: [مجزوء الوافر]

عروبتنا سنبنيها لترفعَ رأسها تيها
فبالصاروخ نحميها وبالأرواح نفديها
ونمحق خصمنا قهرا[3]

(١) ملاحم عربية، ص ١١٤.
(٢) ملاحم عربية، ص ١٢٠. تباب: خسران وهلاك. واليباب: الخراب.
(٣) الوثوب، ص ١٦٥.

ثم يشيد العدناني بعزائم لشبان والشيوخ التي تشتدّ في الخطوب، وتقوى على الصعاب، وذلك مِمّا رفع شأن العرب من جديد، ويقول في ذلك: [الوافر]

تـلـفَّـت شـطـر أُمـتـنـا الـزمـانُ ... وراح يـخـطُّ مـا أمـلـى الـجـنـانُ
عـزائـمُ كـلّـما ازدحـمـت خـطوبٌ ... تَـشَـبَّـثَ كـالـقـضـاءِ بـهـا الـجِـرانُ
شَـغَـلْـنـا الـدّهـر شـبّـانـاً، وشـيـبـاً ... بـهـا حـتـى سـمـا لـلـعُـربِ شـانُ[1]

ويمتدح الشاعر محمد العدناني العرب ويفخر بهم، ويصفهم بالليوث الذين يسارعون إلى تلبية نداء الواجب من فداء وتضحية، فهم لا يرهبون الموت، وقد اشتهروا بالكرم، وأصبح كل واحد منهم مثل حاتم الطائي. يقول في قصيدة «اليقظة»: [البسيط]

كفكفتُ دمعي، فلن تذريه كارثةٌ ... مهما تدفّق سيلُ لمحنةِ العَرِمُ
ما في مآقي ليوثِ العُربِ ساخنةٌ ... بل في عزائمهم يومَ الوغى حُمَمُ
إذا تـنـادوا إلـى بـذلٍ وتـضـحـيـة ... كبّوا خفافاً، وفي حداقهم ضَرَمُ
تـنـدى أكُـفُّـهـم بـالـجـودِ مُـنـهـمـراً ... وكـلُّـهـم حـاتـم الـطـائـيُّ، كُـلُّـهـمُ
لا يرهبون الرّدى الفتّاك مُرْهفةٌ ... أنيابُهُ، والأذى يحدوه والنِّقَمُ
إنّ الـمـنـيـةَ إن راودْتَـهـا امـتـنـعـتْ ... وإن تَجنَّبْتَها، جاءَتْك تختـرِمُ

* * *

يـا ربّ! شَـرَّفْـتَـنَـا لـمَّـا نـظـمـتَ لـنـا ... قـصـيـدةً فـذّةً أبـيـاتُـهـا الأمـمُ
والعُربُ فيها هم بيتُ القصيد، وَمَنْ ... كالعُربِ بالنُّبْل، والإقدام يَتَّسِمُ
حُـمْـرٌ قـنـابـلـهـم، سـودٌ مـعـاركُـهُـم ... بيضٌ صوارِمُهُمْ، خُضْر أكُفُّهُمُ[2]

لقد أجاد الشاعر في سرد أجمل صفات العرب: من إرادة صلبة،

(١) فجر العروبة، ص ١٣٥.
(٢) فجر العروبة، ص ١٥٨ ـ ١٦١.

وتصميم على قتال العدو، وشجاعة عالية، وكرم فائق لدى العرب إلى مستوى كرم حاتم الطائي. ثم انتهى الشاعر إلى مفاخرة العالم بنبل العرب وإقدامهم.

وبالمقابل يصوّر الشاعر طغيان اليهود ومكرهم ونفاقهم وكذبهم وشرورهم وسوء مجاورتهم، حتى باتوا حثالة الخلق، ممّا استوجب عقاب المولى لهم، في تشتيت شملهم وضياعهم...

ثم يعود الشاعر إلى الفخر بأمة العرب، وفضلها على العالم، لا سيَّما وأنها تحدّرت من عدنان، الذي لم تَحْظَ بمثله الأمم، ونلمح ذلك في قوله التالي: [البسيط]

أما اليهودُ فإنَّ الله عاقبهم ... فَبُدِّدَ الشملُ أنّى بَعْدُ ينتظِمُ؟
حثالة الخلق هُمْ، لا دَرَّ دَرُّهمُ ... ولا أَناخَ بأرضِ العُرْبِ مكرُهمُ
نحسٌ كواكبُهم، شَرٌّ طبائعُم ... إفكٌ مزاعِمُهم، عارٌ جِوارُهُمُ

* * *

سيعلَمُ الغَرْبُ، والأيامُ شاهدةٌ ... بأننا خيرُ مَنْ يهفو له عَلَمُ
شعبٌ أرومَتُهُ عدنانُ، ما حظيتْ ... بمثلِ عدنانَ في أجدادِها الأُمَمُ[1]

ويغمز العدناني من قناة العرب في اعتمادهم على الخطابات والكلام، في حين يعدّ العدوّ العدّة. ويؤكد الشاعر أن الضعيف لن يدرك حقَّهُ بالترجّي والتسوّل، وأن القوّة تفرض العدل، ولا بدّ أن يكون مهر النصر والمجد دم التضحيات، وتلخص قصيدة «الظهر البربري» هذه المعاني إذ يقول: [الكامل]

للفاتحين شُواظ دباباتهم ... ولنا خطاب مُفَوَّهٍ، وكلامُ
هذي مدافعُهم، وذي أقلامنا ... أعلى المدافع تُشْهَرُ الأَقلامُ؟

(١) فجر العروبة، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

لن يُذرِكَ الحقَّ الضعيفُ تَسَوُّلاً هـذا لـعـمـري كُـلُّـه أوهـامُ
العدلُ حيثُ البطشُ وارٍ زندُهُ والحقُّ حيث الجيش، وهو لُهامُ
والمجدُ ما بالدمع يُخْطَبُ وِدُّهُ مهرُ الـنُّهوضِ دَمٌ يَسُحُّ وهامُ
ومتى أرادَ الشعبُ نَشْرَ بنودِهِ فعلى الجماجِمِ تُرتَزُ الأَعلامُ[1]

تدلُّ هذه الأبيات على أن الشاعر كان يؤمن بالعمل لا بالخطابات والتنظير والمؤتمرات، لأنها لا تداوي جرحاً واحداً، فكيف ستؤدّي إلى ردع عدوّ غاشم يعدّ العدّة، ويحارب، ويغتصب حقوق العرب؟ فشرٌّ مثل هذا العدو لا يُدفع إلا بالشرّ، وهذا ما ينسجم أيضاً مع قول أحمد شوقي: [الوافر]

ولا يبني الممالكَ كالضحايا ولا يدني الحقوقَ ولا يحِقُّ
وللحرية الحمراءِ بابٌ بكلِّ يدٍ مضرّجةٍ يدَقُّ[2]

كما ينسجم أيضاً مع قول أبي القسم الشابي: [المتقارب]

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ لليل أن ينجلي ولا بدّ للقيد أن ينكسر[3]

٣ ـ ويطفح قلب كمال ناصر بالحبّ لوطنه الكبير، لذي توحّد بينه اللغة والأماني والتاريخ والمصير المشترك، في درب الحياة والكفاح، ويلخّص ذلك بقوله: [مجزوء الكامل]

أنا من هنا ومن هنا في كلِّ عاصفةٍ أنا
وطني الكبير يحدُّه قلبي على هذي الدّنا
وطني الكبير تحدُّه لغتي وتشعله المنى

(١) المصدر السابق، ص ١٥١.
(٢) فوزي عطوي: أحمد شوقي (أمير الشعراء): دراسة ونصوص، ص ١٦٠ و ٣٢٦.
(٣) الشابي ـ أبو القاسم: أغاني الحياة ـ ديوان «أبي القاسم الشابي» ص ١٦٧. دار مصر للطباعة، ١٩٥٥م.

وطني الكبير يحدّه التاريخ درباً مؤمنا
أنا هناك ولم أزلْ في بعث أمّتنا هنا[1]

فكمال إذاً قوميّ عربيّ نقيّ صميم، يلخّص الرؤيا السليمة للثورة الفلسطينية، بأنها فلسطينية الوجه، عربية العمق، ويبقى متفائلاً بأمّته، وعوامل وحدتها، وقدرتها على قهر الصعاب.

ثانياً: قضية فلسطين والشؤون العربية

١ ـ منذ اقتسمت دولتا الانتداب، بريطانية وفرنسة، هذه البلاد فيما بينهما تلاقى ظلم الإنكليز مع أطماع اليهود في التآمر على الشعب الفلسطيني، الذي أصبح منفرداً ـ إلى حدّ بعيد ـ في مواجهتهما. ولمّا أحسَّ الشعب الفلسطيني بالخطر المحدق راح يطلب العون والمساندة من إخوته العرب، كي ينقذوا معاً فلسطين، قبل فوات الفرص، وقد أشار كمال ناصر إلى هذه الشؤون في قصيدته: «فلسطين الأبية» إذ قال: [مجزوء الكامل]

هذي فلسطين الأبية في السلاسل والقيودْ
يقضي بها الخصمُ العنيدُ وليس تنفعها الجهودْ
قرّت بها عين الجبان وكل نمّامٍ حسودْ
ما بين ظلم الإنكليز وبين طغيان اليهودْ

* * *

لا بدّ للتاريخ يوماً أن يعود وأن يسودْ
يا دولة التيمس أَبْعدي عنّا أذى الشعب الطَّريدْ

---

(١)الآثار الشعرية، قصيدة «أغنية جزائرية»، ص ٢٩٣.

ودعي العروبة تستردُّ ذخائر المجد التليد[1]

٢ ـ ويدلّل عبد الكريم الكرمي على لوعة فلسطين وبكائها لفراق الأحبة الذين نزحوا عنها، وقتل الجناة للمواطنين العرب، المستهدفين في الحرب، ويُبدي أسف فلسطين على الحكّام العرب المنحرفين بقوله: [البسيط]

هذي فلسطين قد أشجتك تربتها ... تبكي الأَحِبَّاء من غابوا ومن رحلوا
وهل شجاك الدمُ المطلولُ، تسفحُهُ ... أيدي الجُناةِ، وقد عاهدت من قتلوا
تبكي المروءاتِ مُرخاةً غدائرها ... وما انتختْ للجهادِ البيض والأَسَلُ
تبكي دويلاتِ سوء، سُمِّيتْ دولاً ... وَخَلْفَ كُلِّ رداءٍ يختفي هُبَلُ[2]
حَرْباً على الشعب ما زالت مُضَلِّلَةً ... لا كانت الحربُ بل كانت الدُّولُ[3]

ورغم الضجيج الإعلامي وتعبئة المشاعر العاطفية، التي لم تنجح إلاّ في تفريغ شحنات التهديد والوعيد الغوغائي، والتي لا تصدر عن تخطيط، يبقى الشعب الفلسطيني بمثابة رأس الحربة في قتال الصهيونية، وإن كان العرب يساعدونه ويدعمونه بمساعدات محدودة، لكنه يظل وحده أول من يلبّي نداء الثورة: [الخفيف]

يا فلسطين لا تراعي فإنا ... لم نزل في الدنى نخوض العبابا
معنا في نضالنا كل شعب ... عربي يرى الحياة غلابا
يتجلّى الظلم والظلام إذا ما ... التهب الشعب في القتال التهابا
ويطلّ الفجر الحبيب ضحوكاً ... ويضيءُ الدروب والأحبابا
وتنادي أرضُ البلاد بنيها ... فيكون المشردون الجوابا[4]

(١) الآثار الشعرية، قصيدة فلسطين الأبيّة، ص ٢٩.
(٢) هبل: صنم كان في الكعبة، والمقصود هنا: كفر وضلال.
(٣) ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي)، قصيدة أرض فلسطين، ص ٢١٦.
(٤) المصدر السابق، قصيدة بعد الفراق، ص ٢٣٧.

٣ ـ وإذا كانت القضية الفلسطينية قد شغلت العالم العربي عامة، والشعب الفلسطيني خاصة، بأحداثها وآثارها، فهذا يؤكد أن الشعوب العربية المجاورة قد تعاطفت مع الشعب الفلسطيني في ثورته ومحنته، فقدّمت له المساعدات المختلفة حيناً، وأمدَّته بمتطوعين شاركوا في المعارك الدموية حيناً آخر، ومنهم من جاد بروحه في سبيل فلسطين، وقد خلّد أبو سلمى هذه الظاهرة الثورية في شعره، ومجّدها بقوله: [الرجز]

أرض فلسطين استحالت حَرَماً ... مقدّساً فقبّلوا الترب الندي
ترى الرّفاق حُوَّماً فوق اللظى ... يحرِّرون أهل كل بلدِ
من كل قطر عربيّ عصبةٌ ... ثائرةٌ ترعى أصول المحْتِدِ
هبّت على الوادي وأجرت دَمَها ... متّحداً، يا للدَّم المتَّحِدِ[1]

ويؤكد برهان الدين العبّوشي المشاركة العربية في حرب عام ١٩٤٨ م، بغضّ النظر عن حدود هذه المشاركة وفعاليتها، فيشيد بتضحية الجنود واستشهادهم من خلال التنويه بأربعة ثوّار شهداء، كلّ واحد منهم من قطر عربي، ويقول: [الكامل]

هذا عراقي وهذا أردني ... قد أبليا لله في أعدائها
أنظر إلى السوري يطفح نوره ... وإلى فتى لبنان سيف إبائها
لا تعجبوا هذي فلسطين لنا ... وجميعنا نفنى لأجل هنائها[2]

ثالثاً: الأحداث وبطولات العرب

شهد الوطن العربي أحداثاً كثيرة تعدّدت أسبابها، وأثبت الشعر الفلسطيني أنه سجلّ واعٍ، صوّر بالإضافة إلى شؤون فلسطين كفاح الشعب

(١) ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي)، قصيدة «الدماء تصيح» ص ٢٧.
(٢) وطن الشهيد، ص ٥٩ ـ ٦٠.

العربي، ودحره للمؤامرات المتوالية عليه، بعزيمة المخلصين الشجعان في هذه الأمة، الذين كانوا وما زالوا يضحّون بكل ما لديهم في سبيل عزّة أوطانهم، وسلامة شعوبهم وكرامتها.

أ ـ لقد تأثّر شعراء فلسطين بأحداث الأقطار العربية، وتحسّسوا آلامها منذ زمن بعيد، وعلى سبيل المثال: يوم وقعت حادثة بلدة دنشواي[1] في مصر بتاريخ ١٣/حزيران ١٩٠٦، عبّر الوطنيون والزعماء عمّا يجيش في النفوس من الألم والنقمة، ونظم الشيخ سليم اليعقوبي قصيدة في تلك الحادثة جاء فيها: [الخفيف]

ما الذي تفعلُ الأَرامـلُ فيها ... هل ترى الأرامـلُ الأولادا[2]؟

ب ـ وعندما أطاحت ثورة مصر سنة ١٩٥٢ بالنظام الملكي، وبدأت مرحلة جديدة من النضال والبناء وتوحيد الجهود العربية، انطلق الشاعر كمال ناصر مهلّلاً ومنوّهاً بهذه الثورة، التي عقد العرب آمالهم عليها، فقال في قصيدة: «الثورة.. مصر»: [الخفيف]

هذه مصر أيَّ حلم جديد ... أيقظته المنى بأرض الجدود
قد صحا من غياهب التيه يختا ... لُ من بعد هجعة ورقود
أيّ حلم مضمَّخ بالأماني ... والمروءات والهدى والجود

* * *

هذه مصر ثورة الله في الأر ... ضِ على كلِّ ماجنٍ عربيد

---

(١) قام يومئذ خمسة ضباط من الإنكليز بصيد الحمام في تلك البلدة، فأصابوا بعض الأهلين، فثار الأهالي على هذه المجموعة العسكرية، وقتلوا بعض أفرادها، فأسر الإنكليز عدداً من المواطنين وأعدموا أربعة منهم، وجلدوا ثمانية آخرين أمام سكان البلدة ذاتها. (إبراهيم ـ حافظ: ديوان حافظ ابراهيم، ج ٢، ص ٢٠، بيروت ١٩٦٩م).

(٢) كامل السوافيري: الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص ٤١.

هـذه مـصـرُ لـلـزمـان كـتـابٌ ضَـمَّ فـي سِـفْـره رُفـات الـوجـود
يـوم هـبّ الإصـرار بـيـن لـظـاهـا شعلةٌ تضرم اللظى في القيود
لـفـحـةٌ مـن زنـابـقِ الـنـيـلِ هـبَّـت بـالـمـيـامـيـنِ والأبـاةِ الـصِّـيـد
شهر يوليو والفجر يبسم للفجـ ـر ويـهـفـو الـولـيـد إثـر الـولـيـد
مُـثْـقَـلٌ بـالـوفـاءِ والـحـبّ والـبـذ لِ وبـالـكـبـر والـرجـا والـجـهـود
لا أدّعـاءٌ لا كـبـريـاءٌ ولـكـن غضبة الحقّ والهدى والصعود
غـضـبـةٌ تـجـمـع الـمـلايـيـن فـي قـلـ ـبٍ وتـطـوي آلامـهـم فـي وحـيـد
فـمـشـتْ فـي كـرامـةِ الـشـرقِ نـوراً يـتـحـدّى صـداقـةَ الـتـقـلـيـد[1]

يرحّب كمال ناصر بتحقيق حلم مصر في الثورة التي أيقظت أماني الجماهير، وَحُقَّ لمصر أنْ تثور على كل عابثٍ فاسد، كي تواكب مسيرة التقدم في العالم.

ثمّ يمجّد الشاعر الثوّار الشبان، ويصفهم بـ «الميامين الأُباة»، وبذلك كان شهر يوليو زاخراً بالوفاء والبذل، ومشبعاً بالكبرياء والرجاء والإخلاص، ويذكر الشاعر أن الملايين أجمعت على تأييد الثورة، وسارت في موكب الكرامة والشرف والعزّة، متحدّية هيمنة من سُمُّوا «بالأصدقاء» من المستعمرين.

لقد أحسن كمال ناصر صنعاً في اعتبار ثورة مصر باعثة لتحقيق أماني هذا البلد خاصة، وسائر بلدان العرب بوجه عام، وهو محقّ في قوله، ذلك لأن مصر هي أكبر دولة بين دول العرب، وأقدرها على القتال، بفضل جيشها الكبير، المجهز بأسلحة ثقيلة، ممّا يمكّنه أكثر من غيره، من الإسهام في معركة المصير والشرف، فضلاً عن دور مصر في توجيه صفوف العرب، وصدّ الضغوط الأجنبية عليهم.

---

(١)الآثار الشعرية، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥.

ج ـ تأميم قناة السويس وبناء السدِّ العالي في مصر

١ـ إثر تأميم قناة السويس والبدء بإنشاء السدِّ العالي في مصر، كخطوتين في طريق سيطرة مصر على أرضها وممرَّاتها، وإعادتها إلى سلطة الدولة، دون غيرها، وتعزيز سيادتها، وتنمية قدراتها، حدث العدوان الثلاثي على مصر. ويومئذ أشاد الشعراء بهذا النهج التحرّري الباسل، الذي حفظ لمصر والعرب كرامتهم، وأعاد لهم سيادتهم وسلطتهم على أرضهم ومرافقها، فأشار الشاعر محمد العدناني إلى ذلك في قصيدة «فجر العروبة» قائلاً: [الوافر]

وأَمَّمْنا القناة بجمرِ بأسٍ ... جنودُ الإنكليز له دخانُ
وأَقْدَمْنا على حُمَمِ المنايا ... لها في بورسعيدٍ مهرجانُ
تُصَبُّ من السماء، ومن خِضَمٍّ ... سُيولاً لم يُشَدَّ لها عِنانُ
فما زَحْزَحْتنا حتى غدوْنا ... يُشيرُ إلى بطولتنا البَنانُ
وَلَقَّنَّا أعادينا دروساً ... بَلَوْا منها الدّواهي فاستكانوا
إذا لم يُرخصِ الأَرواح شَعْبٌ ... لِمِحْو عِداهُ أَرْخَصَهُ الزّمانُ
فَمَهْرُ المجدِ أرواحٌ يجودُ بهنَّ مَنْ خَطَبا
مَنِ العَلْياءُ تَعْشَقُهُ إذا لَمْ تَعْشَقِ العَرَبا؟
لئن شِدْنا لماءِ النيل سدّاً ... فَمِن أبطالنا شِدْنا سدودا
بنيناها بإيمانٍ وطيدٍ ... نَصُدُّ بهِ الفِرَنْجَةَ، واليهودا
سنجعلُ يومَ وَحْدَتنا جميعاً ... ويومَ تُذَكُّ إسرائيلُ عيدا
فَمَنْ للمجد طار به جمالٌ ... غدتْ زُهْرُ النجومِ لهُ عبيدا[1]

لقد أجادَ العدناني في تصوير تأميم ثورة مصر للقناة، وبنائها للسدّ العالي وصدّ الأَعادي بشجاعة نادرة في معارك بور سعيد. وفاخر الدنيا

(١) فجر العروبة، ص ١٣٥ ـ ١٣٧.

بالعرب، وجعلهم أَسمى من تعشقه العلياء، وارتفع في جمال التصوير وروعة الفخر إلى مصافّ أشهر شعراء العرب في العصر الحديث، فضلاً عن تضمين القصيدة أبياتاً حِكَماً مهمة منها: أن مهر المجد غالٍ، يجود به من رامَ المجد والعزّة...

د ـ العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غَزَّة عام ١٩٥٦

يوم حدث العدوان الثلاثي على مصر، واحتلت «إسرائيل» قطاع غزة بعد قتال مرير، وقاتل أبناءُ مصر الغزاةَ ببسالة، وتمكّنوا من صدّهم..، يومئذ هبّ الشعراء العرب يطلقون نيراناً تحرق المعتدين، وتُشيد ببطولات المقاتلين، وكان في مقدمتهم شعراء فلسطين الذين يظلّون سبّاقين إلى وقفات النضال والبطولة والعزّة والشمم، وفي مقدمتهم هارون هاشم رشيد ومحمود سليم الحوت.

١ ـ قبيل بدء العدوان الثلاثي على مصر كانت هذه المنطقة تبدو وكأنها على فوهة بركان، فالأجواء متلبّدة، والاستعدادات قائمة، وفي تلك الفترة نشر هارون هاشم رشيد قصيدة بعنوان «قبل المعركة»، قال فيها: [مجزوء الكامل]

قولوا لهم... وضح السبيل فلن نكلَّ ولن نهابْ
سنسيرُ في الدرب الطويل.. إلى أمانينا العِذابْ
سنسير ما عوت الذئاب... فلن نخاف من الذئابْ

* * *

قولوا لهم.. إنّا لها.. إنّا لمعركة الفِداء
سنكون جيشاً واحداً يجتثُّ أعمدةَ الشقاء
سنذود عن أرض القناة سنفتديها بالدّماء

ولسوف يعلم أيَّ منقلب سيلقى الأدعياء

* * *

يا أمتي.. لن يبلغوا من أرضنا ما يطلبون
ولو أنهم في كل يوم يحشدون ويجمعون
ويهدّدون بأنهم سيحاربون ويضربون
يا أمتي لن يبلغوا.. لن يبلغوا ما يقصدون
أبناؤكِ الأحرار هم حول القناة هم الحصون
سيقاتلون الغادرين بعزمهم وسينصرون[1]

ويصف هذا الشاعر وقفة المجاهدين في مدينة غزة للدفاع عن مدينتهم إبان العدوان، فيقول في قصيدة «قصة العدوان»: [مجزوء الكامل]

ووقفنا.. وقفة
واحدة في المعمعه
وكتبناها سطوراً
من كفاح.. رائعه
نتحدّى.. البغي
آمال.. كبار مشرعه
كل حرٍّ قد مشى
يحمل.. فيها.. مدفعه
ليلاقيهم على أرض
النضال.. الناصعه
وتلاقتْ.. وحدةُ الأهداف

(١)الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢١١ و ٢١٤.

أهداف المعالي المُبْدعه[1]

ويعكس الشاعر صلابة العرب، وعزمهم على الدفاع عن وطنهم، دون خوف من جبروت العدو، ويبقى صاحب الحق جسوراً، يُقْدم على المعركة بهمة وشجاعة، فإما أن يقضي شهيداً أو يعيش حراً كريماً. ومن هذا المنطلق وقف المصريون وقفة موحدة شجاعة، فأبلو أحسن البلاء، وقدّموا التضحيات الغالية، وصمدوا أسمى صمود، وحقّقوا النصر، وبسطوا سلطانهم على أرض الوطن.

٢ ـ وكان لمحمود الحوت باعٌ طويل في نظم الشعر بمناسبة هذا العدوان المشؤوم، فحضّ العرب على القتال، ووصف القصف والقتل والتدمير، هذا من جهة، ووصف استبسال المقاتلين في المعركة، وصدّهم للقوات المعتدية في مواقع عديدة، بعد تكبيدهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد من جهة ثانية فقال: [الخفيف]

حسب المجرمون أن شواطي ... بورسعيدِ تهونُ للمجرمينا
إنّهم لم يفكّروا قطُّ بالشعـ ... ـب أسوداً، وبورسعيد عرينا
خسئُوا دولتين[2] أعياهما اليأ ... سُ.. ولم يُحتَمَل فبات جنونا

* * *

لم يظن الغزاة أنّ سواد الشعب يلقاهم لقاءَ جهنّمْ
يُضرم النار في السماءِ وفي الأَر ... ضِ، ولا يترك الخضمّ فيُضرمْ
كان جيش الغزاة يُصطاد في الجو كطيرِ القطا فيهوي ويُغدمْ
ذاك ما لَمْ يدر ببالِ طغاةٍ ... أغرقوا الكونَ والخلائقَ بالدمْ
فإذا هم ببورسعيدٍ خرافٌ ... لسكاكينِ أهلها تتقدمْ

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٤٨.
(٢) هما بريطانية وفرنسة.

إن أمـراً يـريـده الله يـجـري فـهـو أدرى بـمـا يـريـد وأعـلـمْ

* * *

إنّ مـا أنـزلـوه فـي بـورسـعـيـدِ مـن دمـارٍ عـلـى رؤوس الأهـالـي
بـزّ وحـشـيـةَ الـقـرونِ الـخـوالـي وضـرورات مـجـرمـاتِ الـلـيـالـي
غـيـر أن الـدّمـار فـي بـلـدةِ الأبـطـا لِ لـم يـنـتـصـر عـلـى الأبـطـالِ
وقـفـت كـالـقـضـاءِ تـحـكـم بـالـمـو تِ عـلـى الـمـجـرمـيـن الأنـذالِ
والـرجـالُ الـمـقـاومـون يـصـدّو ن ذئـابَ الـعـدى عـن الأطـفـالِ
ضـاربـيـن الـمـثـالَ تِـلْـوَ الـمـثـال عـن حـوض الـرَّدى وسـاحِ الـقِـتـالِ

* * *

حدِّثني الشرق عنكِ يا بورسعيد كيف كان الدفاعُ شبراً فشبرا
والرجالُ المقاومون يخوضون خِضَمَّ الردى لهيباً وجمْرا
لا نرى من بني الكنانة إلاَّ كلَّ من هب ينصر النيل نصرا
بورسعيد، وهذه الروحُ فيها كيف لا تدحرُ المغيرين دحرا[1]

ثم يخاطب جنود العدو الذين تمكّنوا من هبوط أرض مصر، ففتك بهم الجنود والمواطنون المصريّون، فانسحبوا متقهقرين، ويقول: [الخفيف]

آخرجوا من جحوركم كالجراذين وعـودوا، كـمـا أتـيـتـم أَذِلَّـة
قد كشفتم عن التوحُّش فيكم وأقـمـتـم عـلـيـه شـتّـى الأدلـة
آخـرجـوا لا رعـاكـم الله أعـدا ءً لـكـلّ الـشـعـوب مـن كـل ملّة

* * *

بورسعيد.. وسوف تبقى على الدَّهر ضريحاً لكل من يتعدى
أولـم تـكـبـح الـمـغـيـريـن كـبـحـاً وتـصـدُّ الـغـزاة عـن مـصـر صـدّا

---

(١) ملاحم عربية، ص ٩٤ ـ ٩٧.

فنجا عالمُ العروبة منهم وعنا الغدرُ للسلام المفدّى

* * *

قد لوت بورسعيدنا ذنَبَ الليـ ـثِ [1] فهلاً ندقُّ للذئب[2] عُنْقا

قل لِمَن شادَ في فلسطين إسرا ئيل قهراً سَيُمْحَقُ القهْرُ محقا[3]

أثبت محمود سليم الحوت أنّ ما ألحقه العدو بالجماهير المصرية الأبيّة من قتل وجرح، فضلاً عن تدمير البيوت والمؤسسات، لم يغير نهجهم التحرري، بل زاد في حماستهم لصدّ العدوان، والحفاظ على ثرواتهم ومرافقهم، وبمقدمتها قناة السويس، وقد أحسن الشاعر وصف دفاع رجال مصر عن بورسعيد شبراً فشبراً، وخاطب الطغاة بجرأة وصراحة، وصوّرهم بالجراذين، والمتوحشين، وطالبهم بالخروج أذلّة صاغرين، وهدّد «إسرائيل» بالدمار والزوال.

لقد أحسن صنعاً في بحث جوانب العدوان المختلفة، وامتاز شعره هذا بالوضوح والسهولة والقافية المناسبة.

٣ ـ وامتدح الشاعر يوسف حسون الطيّار العربي جول جمال، الذي هاجم بطائرته إحدى بارجات العدو في البحر فأغرقها، وقال: [مجزوء الكامل]

لبيك يا ضوء العروبة يا طليعة كل نصر

لبيك أعلنها (جمال) وردّدتها أُسد مصر

وَبَنُو العروبة أجمعين فما تقاعَسَ أيّ مصر

---

(١) يعني به الأسد البريطاني، وهو كناية عن بريطانية.

(٢) كناية عن «إسرائيل».

(٣) ملاحم عربية، ص ٩٩ ـ ١٠١.

فذروا الحياة لمثل هذا اليوم وٱنتظروا بصبر
كلٌّ يقول فداكِ يا أُماه لك آمالي وعمري
فإذا قضيتُ فداكِ حسبي أنني وفيتُ نذري[1]

هـ ـ الوحدة بين مصر وسورية ١٩٥٨

الوحدة العربية أمل العرب، وسبيل قوتهم وعماد نصرهم، والفرقة ضعف وتشتّت وخسران وانهزام، وتدل الدلائل عبر التاريخ أن قوة العرب تكمن في وحدتهم، وكلما اتحد العرب كانوا يحقّقون الانتصارات على أعدائهم، والعكس صحيح.. وعندما وحّد صلاح الدين الأيوبي البلدان المحيطة بمملكة الصليبيين، ووجّه جهودها مجتمعة نحو هدف واحد هو تحرير الأرض، تمكّن من تحقيق أول وأعظم انتصار على الصليبيين في معركة حطين سنة ١١٨٧م، ثمّ تابع العرب سوياً قتال الصليبيين حتى أخرجوهم من هذه البلاد.

وعندما نشأت الوحدة بين مصر وسورية في شهر شباط سنة ١٩٥٨م هلّل العرب لها، وفي مقدمتهم الشعراء، وٱستبشروا خيراً كثيراً، وأبرزهم هارون هاشم رشيد، محمود سليم الحوت، كمال ناصر، حسن البحيري، عبد الكريم الكرمي، كامل الدجاني، ومحيي الدين الحاج عيسى.

١ ـ ويوم زحفت الجماهير المحتفلة بالوحدة صباح يوم إعلانها في ٢٢/ شباط ١٩٥٨، راح هارون هاشم رشيد يبشّر العرب عامة والفلسطينيين خاصة بالنصر على اليهود، والعودة إلى فلسطين بقيام هذه الوحدة بين مصر وسورية، وهو يرى أنّ عذابات فلسطين ستنتهي قريباً، لأن فجر الوحدة، بل فجر النصر أطلّ، وسيتبعه الفرج..، ويقول في قصيدة «فرحة الوحدة»: [مشطور الرجز]

---

(١) مخطوطة بعنوان: «مجموعة من قصائد يوسف حسّون».

ألا أبشروا. . . ألا أبشروا بالعودة

وهلّلو وكبّروا. . للوحدة

يــا إخوتي

يا إخوتي غداً ستنهــار الحدودُ

وسوف لا يكون في بلادنا يهودُ

وسوف يشرق الضياء

علـى مـرابع الفـداء

* * *

أرض فلسطين التي تنوءُ بالعذاب

على ثراها في غدٍ. . تحققُ الرغاب

بوحـــدة بشيرُها الصباح

ودرعها الجهادُ والكفاح[1]

ومثلما كانت الوحدة بشيراً لتحقيق أماني العرب المختلفة، كانت نذيراً للأعداء المتربصين بهم، والساعين للسيطرة والنفوذ. . ، ونهب ثرواتهم، لهذا فمن الطبيعي أن تغيظهم هذه الوحدة، وتسرّهم الفرقة والخصومة وتمزّق العرب. وطالما سعوا لدوام الأحوال التي تؤمن مصالحهم لا مصالح العرب. وكلّنا يعرف شعارهم في سياستهم: «فرّق تَسُد. .».

٢ ـ وتصدح قصائد محمود سليم الحوت مهلّلة للوحدة بين مصر وسورية، مُكْبِرةً قهر هذين القطرين للصعاب التي اعترضتهما، وهو لا

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٤٦.

obeikandl.com

يستغرب قيام الوحدة بين جماهير الأمة العربية، وأكّد أنَّ وحدة العرب درعٌ تَرُدُّ سِهامَ الأعداءِ، ونبَّه العرب إلى السهر واليقظة، وحماية هذه الوحدة ومتابعة الكفاح، بقوله: [الخفيف]

حلماً كان في ضمير الأماني ... ماثلاً يا أخي رحاب الزمان
أيُّ طفلٍ وأيُّ شيخٍ قعيدٍ ... لم تُحَرِّكْه ثورة الإيمان
فرحةُ الشرقِ والعروبةِ جمعا ... ءَ تجلَّت بما أتى البطلان[1]
عبقريان من طرازٍ مُنيفٍ ... مارِدِ الرّوح نادرِ الأخدان

* * *

أترى كيف أعلنا مصر والشا ... م كياناً موحّداً عربيًّا
بعد أن طَهّراهُ من كلّ رجسٍ ... أجنبيٍّ تطهيره الأبديًّا

* * *

إن فجر العروبة الحقّ أضحى ... نافذ النور كاسحاً للضباب
فليموتوا بغيظهم وليصبّوا ... كلَّ ما في جرابهم والجعاب
كيدُهم والمؤامرات جهودٌ ... ضائعاتٌ كرغبةٍ في سراب

* * *

يا أخي في مقادري يا ابن جمهو ... ريةِ العُرب وهي خير نواةِ
لا تَهُنْ في الكفاح مهما تراخى الـ ... ـخصمُ إنّ الكفاحَ سِرُّ الحياةِ
واحذر الطامعين في خير الغمـ ... ـرِ وكُنْ بانتظار ما هو آتِ
واعياً، غير سادرٍ، مستعدّاً ... لملاقاةِ كلِّ باغٍ وعاتِ
سوف لا يتركون ما حقَّقَ الشعـ ... ـبُ وقد هبَّ بعدَ نفضِ السُّباتِ[2]

يرى الشاعر أن الجمهورية العربية المتحدة باتت نواة لوحدة العرب

(١) هما الرئيسان جمال عبد الناصر وشكري القوتلي.
(٢) ملاحم عربية، ص ١١١ ـ ١٢١.

وتعاظم قوتهم، ومع هذا، وبدافع الوعي والحرص دعا إلى استمرار اليقظة، وحماية الانتصارات والمكاسب والاستقلال، فضلاً عن الاستمرار في الكفاح، لأنه عماد النصر والنجاح، كما دعا أيضاً إلى عدم الاغترار بتراخي الخصم وخداعه، وحذَّرَ من الطامعين في بلادنا وخيراتها الكثيرة، لأنَّه لن يطيب لهؤلاء استمرار مسيرة التقدم، ولأنهم سيواصلون العداء والتآمر...

بعدئذ وجه الشاعر همَّه إلى فلسطين، لأن بين الوحدة وفلسطين صِلات متينة ندركها جميعاً، فقال: [الخفيف]

إن أرض العروبة اليوم أمست ... حرماً لن يتاحَ للزُّرْق دمَّا
هكذا صيغَتِ العروبةُ لمّا ... وقفتْ بورسعيدُ طَوْداً أَشَمَّا
في وجوه الغُزاةِ حتّى أحالت ... فجرهم كالدُّجى ضُحىً مُدْلَهِمَّا

* * *

قل متى يا جمالُ والضيمُ عبءٌ ... نَسْتَرِدُّ الحمى سليماً معافى
كيف أنسى مدينتي كيفَ أنسى ... وهي في عالم الفراديس يافا
وشقيقاتها التي يَحْسُدُ الخُلْـ ... ـدُ رُبَاها الحدائقَ الألفافا
إنَّ قلْبَ العروبة النابضَ اليو ... مَ يعاني من الأسى أصنافا
فانتقِمْ يا جمالُ لا تُبْقِ في الشر ... قِ «موائيقَ» أَنْزَفَتْنا رُعافا
واْستَعِدْ أَرْضنا السليبة فالوحـ ... ـدةُ دُون «الرجوعِ» لا تتوافى[1]

وهكذا وبالرغم من الفرحة الغامرة بالوحدة، فإن الشاعر محمود الحوت لا ينسى وطنه، لأنه جُبِل على الوفاء والإباء، ويناشد رئيس الجمهورية العربية المتحدة «جمال عبد الناصر»، أن يرفع الضيم عن الأرض المقدسة، التي تغار منها جنان الخُلْد وتحسدها، والواقع أنّه يرى في الوحدة ـ مثل كثيرين غيره ـ مقدمةً وبشيراً لخطوات تالية أهمها تحرير الأرض.

(١) ملاحم عربية، ص ١٢٨ ـ ١٣٠.

٣ ـ ويعرب حسن البحيري عن الفرحة الغامرة ويردّد الأغاني بوفاق واتحاد الشعب، الذي مزّقته أطماع المستعمرين، وأقامت عروشاً ذليلة تطيعهم، ولكن أواصر القربى ما لبثت أن تغلّبت على ما عداها، والتقى العرب، وساروا على نور الهدى، عاقدين العزم على النّصر، ممّا بعث الفرحة في شعب «المسجد الأقصى»، فنطقت جراح الوطن المحتلّ بآيات البلاغة والسعادة بإشراقة الوحدة، يقول الشاعر في قصيدة «أفراح الوحدة»: [الرمل]

لهفةُ الأشواقِ في يومِ التداني ... ردَّدت أحلى أغاريد التهاني
فارقصي بشراً، وغنّي طرباً ... واستعيدي، وأعيدي يا أماني
إنها أفراحُ شعبٍ ظافر ... زفَّ فيها المجدُ فراحَ الزمانِ
نحنُ شعبٌ واحدٌ في موطنٍ ... مزّقت وَحْدته أطماعُ جاني
وأقامَ البغي في أرجائِهِ ... لعروشِ الذُّلِّ أصنامَ آمتهانِ
فصهرنا القيدَ أغلالاً عَتَتْ ... وَحَطَمْنا الكأسَ مُدَّتْ بالهوانِ
هزَّتِ القُربى دِمانا للِّقا ... ودعا الشوقُ هوانا للتداني
فالتقينا في رُبى العزّ على ... موعدٍ أجنى أفانينَ المجاني
وعلى نور الهدى سِرْنا إلى ... خيرِ ما يبنيه للأَوطانِ باني
فعقدنا النصرَ إكليلاً على ... مفرِق الشمسِ بأزهى مهرجانِ

* * *

وَطَنٌ حُرٌّ رَوَيْنا أَرْضَه ... بدمٍ يقطرُ من كلّ جَنانِ
وَحْدَةُ الشعب التي أضحى بها ... في شعوبِ الأَرضِ مرموقَ المكانِ
وَحْدةٌ ثابتةٌ أركانُها ... «بَرَدَى» و«النيلُ» فيها تَوْأمانِ
هاجَ قلبُ «المسجد الأقصى» هوىً ... أنْطَقَ الجرحَ بآياتِ البيانِ[1]

(١) لفلسطين أغني، ص ٦٧ ـ ٧٣.

يتحدث الشاعر بلهجة الواثق في أهمية الوحدة وعظم أثرها، وهو متفائل بمستقبل مشرق يصنعه الشعب العربي، وهو يدرك كيف وَحَّدَ الرسول محمد ﷺ العرب، بل المسلمين، وأقاموا دولة امتدت من الأندلس إلى حدود الصين تقوم على العدل والمساواة، ثم وَحَّد صلاح الدين الأيوبي العرب ثانية، فقهروا الصليبيين وأقاموا دولة قوية السلطان. لهذا كلّه تفاءلوا بالخير، في حين بدت قوى الاستعمار مذهولة، وراحت تراقب التطورات باهتمام، وقلق على مصالحها...

٤ ـ والوحدة التي تقوم على ركائزَ متينةٍ، تستطيع الصمود في وجه العواصف العاتية، وتستطيع أيضاً أن تبلسم الجراح، وتتلاشى ويلات المستقبل. ويشير كمال ناصر إلى ذلك في قصيدة «من وحي الوحدة» بقوله: [السريع]

أشهى المنى ما نبضت بالكفاح ... في وَحْدَةٍ كبرى تلمُّ الجراح
كأنّما التاريخ من حولها ... يطلّ بالنخوة شاكي السلاح
فانتفضي يا أمتي وأصدحي ... اليوم يحلو في رباك الصداح
طلائع الوحدة هذي فقل ... تبارك الكبر بها والسماح
تصمد للطغيان، لا عاصفٌ ... يهزُّها، ولا عتيُّ الرّياح[1]

وهل هناك ما هو أسمى من الوحدة والقوة والعزة كيما تصمد هذه الأمة أيام جحافل الطامعين البُغاة، لذلك حقّ لهذه الأمة أن تصدح وتهزج بعد أن قوي عودها وباتت قادرة على صدِّ جحافل الأعداء وفرض سيادتها على أرضها.

وانطلاقاً من إيمانه بأن قوة العرب في وحدتهم، وضعفهم في تفرقهم وانقسامهم، يقول كمال ناصر في قصيدة «جريمة الأمس»: [البسيط]

---

(١) الآثار الشعرية، ص ٢٤٧.

لن يصلح العرب إلاّ في تجمعهم وحسبهم أن غدوا في أرضهم شُعَبَا
تلك الحدود التي شَلّت توثُّبَنَا للنور، من صنع غدّارٍ بنا لعبا
وكلُّ مَنْ يدَّعي فيها سيادته يريد أن يسحقَ التاريخَ والعَرَبَا[1]

لقد تربَّصَ الخصوم والأعداءُ بهذه الوَحدة، فبذروا بذورَ الفِتْنَةِ، وظلُّوا يُقِيمون المؤامرات والدسائس حتى وقعت دونَة الوحدة في فخّ الانفصال، بعد عدة سنوات من قيامها، فعبّر كمال ناصر عن جرح الانفصال في قلوب الوطنيين قائلاً: [البسيط]

جُرْحٌ تمزَّق في صدري فَضَيَّعني لما تناثر أشكالاً وألوانا
فَطَمْتُهُ بين آمالي وما ائْتَلَمَتْ إشراقَةٌ للأسى، فارتدَّ ظمآنا
لجمتُهُ بين أضلاعي فحطَّمَها وسالَ ينبضُ شرياناً فشريانا[2]

وكان الانفصال فاجعة أليمة نكبت ضمير الأحرار المخلصين في هذه الأمة وأدمتْ قلوبهم، وبدّدت آمالهم، وجعلتهم يتوقعون صرباتٍ موجعة، ومؤامرات تُلْحِقُ بوطنهم الويلات. ولو تأملنا ما حلّ بهذه الأمة منذ أيام الانفصال حتى الآن لأدركنا أهداف المتآمرين في الداخل والخارج، وكيف تحقّقت بهدم الوحدة، ويمكننا أن نتصور أيضاً الفوائد الجمّة التي كانت ستنتج عنها. ولهذا فإن العرب ينظرون بفارغ الصبر إلى قيام الوحدة الحقيقية بين الأقطار العربية، والتي تتطلّب جهوداً مستمرة من قبل المخلصين الوطنيين، وهم على أية حال كُثُر في هذه الأمة، ولن يتلاشى الأمل، لأن العوامل التي تدعو إلى الوحدة أهم ممّا عداها وأكثر إلحاحاً...

ومن يلاحظ كيف تسعى دول أوروبية إلى الوحدة والتعاون وإقامة أكثر من سوق مشتركة فيما بينها، في حين تعمل في بلادنا للفرقة والتقسيم

---

(١) المصدر السابق، ص ٩٣.
(٢) سهيل سليمان: كمال ناصر الشاعر والأديب والسياسي، ص ٢٨٢.

والتسلّط وامتصاص ثرواتنا، وتصريف بضاعتهم في بلادنا، يدرك أموراً لا حصر لها، وأن اللبيب من الإشارة يفهم، ويجب أن نأخذ العبرة من ذلك كلّه...

و ـ مؤتمرات القمّة العربية

ينتعش المواطنون العرب كلّما اجتمع زعماؤهم وسعوا إلى حلّ قضايا بلدانهم، وإزالة كل خلاف عالق فيما بينهم، والاتفاق على التعاون في المجالات المختلفة: الاقتصادية والثقافية والصحيّة وغيرها، فضلاً عن توحيد الجهود العسكرية لتحرير أراضيهم، والتخلّص من كل سلطة أجنبية.

١ ـ ويعرب خالد نصرة عن فرحة العرب باجتماع زعمائهم يوم عُقِد مؤتمر القمة العربية الثاني سنة ١٩٦٥م، ويرى أن فجراً جديداً قد أَطَلَّ على هذه الأمة باجتماع قادتها، بغية التعاون، وتوطيد الجهود من أجل تحقيق كل ما يفيد هذه الأمّة ويساعد على تحرير أراضيها...[مجزوء الكامل]

وتضجُّ ألسنة العرو ... بة بل تردّدُ في لسان
الفجر لاح، فطالما ... رضعت أشعته لباني
فجر انطلاق المارد العر ... بي من قبل الهوان
فجر العروبة قد بدا ... هل في الوجود عروبتان[1]

رابعاً: كفاح العرب واستقلالهم

أمّة العرب أبيّة كريمة تعشق الحرية والعدالة، وتأنف العدوان والاضطهاد.

لقد اهتم شعراء فلسطين بالثورات والحركات التحررية في العالم

(١) هزيم وتسابيح، شعر، ص ٣٣. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

العربي، مثلما اهتموا بفلسطين ونضالها، فالوطن العربي الكبير هو عمق نضال شعب فلسطين، وما يصيب العضو يصيب الجسم، والعكس صحيح. قال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر».

وكان لشعرائنا جولات في الأقطار العربية، استطاعوا خلالها التعرّف عل أوضاع هذه البلدان عن كثب، فشدّوا من عزم بعضها، وشجّعوا بعضها الآخر على إعداد العدَّة ومواجهة الظروف بشجاعة.

ظلّت معظم الأقطار العربية تناضل منذ مطلع هذا القرن حتى انتزعت حرّيتها، وحقّقت استقلالها، وفي مقدمة هذه الأقطار: تونس، مراكش، الجزائر، سورية، ولبنن.

ولم تكن فلسطين أقلّ نضالاً وتضحية، ولكن المؤامرة على فلسطين بَدَت أكبر، والعدوّ أشرس.

١ ـ لقد كلّفت ثورة الجزائر نحو مليون شهيد، وتمكنت في آخر المطاف من تحقيق النصر والاستقلال، ولم تقم تلك الثورة أو غيرها رغبةً في الانتحار، بل إيماناً بحقّ، وثورةً على ظلم فرنسة، بعد أن نفد صبر الشعب الجزائري وتلاشت آماله بحلولٍ أخرى.

وهذا برهان الدين العبّوشي يصف حال بلدان المغرب، وهي تقاسي من الاحتلال، وتناضل من أجل الحرية والاستقلال، ويطلب النجدة لهذه البلدان قائلاً: [الكامل]

مراكش تشقى وتونس أعولت ... وابن الجزائر سامه الجزّار
إن لم نثر في وجه ظالمهم فلا ... كنّا من الإسلام بل كفّار[1]

(١) ديوان جبل النار، ص ٧٩.

٢ ـ لقد تحررت الأقطار العربية بشكل أو بآخر، بعد أن سلك معظمها سبيل الكفاح المسلّح سبيلاً للتحرير.

ويرى كمال ناصر أن الشعب لا يقعد ولو قعدت همم الحكّام، وأن الشلل يبقى جزئياً، ويوم العيد الوطني في المغرب وقف كمال ناصر ليهتف: [الخفيف]

يا جراحات شعبنا لا تبالي ... إن مهر العلياءِ والمجد غالي
وانضحي بالدماءِ فالأرض ظمأى ... للضحايا وللعلا والنضال[1]

ويشبه كمال ناصر نكبة لواء الإسكندرون الذي اغتصبته تركية من بلاد الشام فيقول في قصيدة «اسكندرون ـ اللواء السليب»: [الخفيف]

نحن جرحان في جبين الليالي ... عمقاً بالعذاب والتعذيب
عانقت في الأَسى ربوع فلسطيـ ... ـن في الاسكندرون خفق القلوب
حدّثيني عن الجراحات لمّا ... رقصَ التُّرك في ثراك الخصيب[2]

٣ ـ ويعلن الشاعر كمال ناصر أن الثورة قد اشتعلت في كل شبر في الجزائر، وهذا الشاعر هو ممّن قاسوا ظلم الاستعمار وتاقوا إلى الحرية، وانتظروا الانعتاق من إسار الاستعمار، حتى تسير بلادنا في ركب الدول النامية، وتعيد بناء صرح حضارتها ومجدها، فيقول في قصيدة «في رحاب الجزائر»: [الخفيف]

يا جناحي، هذي رحاب الجزائر ... كلُّ شبرٍ بها على الضيمِ ثائر
تلك آكامها الخصيبة بالمجـ ... ـد وأبطالها الكماة الأَساور
تلك ساحاتها المهيبة بالنو ... رِ كصدر الإيمان بالوحي عامر
صمدت فوقها البطولات تعرى ... بين شدقي أهوالها والمجازر

(١) سهيل سليمان: كمال ناصر: الشاعر والأديب والسياسي، ص ٢٩٩.
(٢) الآثار الشعرية، ص ١٩٠.

عزّ في دربها السلاح فما ها نت وهانت على النضال الكبائر
فمضت تنسج السلام من البذ لِ وتستلهم الفد والضمائر
ليس تخبو وإنّما تشعل النا رَ وتذكي أوارها والمجامر
هذه ثورة العروبة ماجت بالميامين والتظت بالكواسر
كلّ حيّ على جحيم لظاها في الملمّ العصيب عبد القادر[1]

ويمتدح الشاعر ثوّار الجزائر الأبطال، الذين سطروا ببطولاتهم أروع ملاحم البطولة والفداء، وباتوا مضرب المثل في الشجاعة والتضحية، وتغلّبوا على مصاعب جمّة، منها جمع التبرعات لشراء السلاح..

لقد بيّن الشاعر ظروف الجزائر، وكيف آثر رجالها الميامين حرية الوطن على أموالهم وأرواحهم، فحياة الجبناء لا قيمة لها: ومحبُّو الحرية والعدالة يؤثرون الحياة الكريمة في الدنيا، أو الانتقال بالاستشهاد إلى حياة الخلود في النعيم، على أي شيء آخر..

وحين لاح النصر للجزائر الأبية استبشرت جماهير الشعب العربي خيراً بذلك، ورأت في النصر مقدمة لحياة كريمة حرة لشعب الجزائر، تتيح له تعمير بلده بعد الذي أصابه من قتل ودمار، وتوفير الطاقات التي يمكن أن توجّه إلى تنمية هذا القطر وتقدّمه، فضلاً عن تمكينه من خدمة سائر العرب، وتبادل التعاون، الذي يعود بالخير العميم على هذه الأمة، في مختلف الميادين.

ويفتخر خالد نصرة بثورة الجزائر المظفرة، ويهنىء العرب بها، قائلاً في قصيدة «فجر الجزائر»: [الكامل]

فجر الجزائر قد تألّق نورُه فأضاء منها كلَّ شبرٍ مظلم

* * *

(١) الآثار الشعرية، ص ١٩٤ ـ ١٩٨.

عصبوا برايات الفداء جباههم وتقدّموا، والفضل للمتقدم
حتى استووا فوق الذّرا وتسنّموا قمم الفخار، ككلّ نسرٍ قشعم!
فجر الجزائر نفحة «قدسيّة» مسحت جراح كفاحنا بالبلسم!
هبّت على دنيا العروبة فاهنئي بالنصر، يا دنيا الجزائر، وٱسلمي
الفوز للأحرار، يا باريس ها هو ناجز، أعلمتِ أم لم تعلمي[1]؟

٤ ـ ويوجّه عبد الكريم الكرمي دعوة مخلصة إلى اللبنانيين لنبذ الطائفية فيقول: [مشطور المتقارب]

ولبنان واحتنا في الحياة
وفي ظلها قد وجدنا الأمان
شبيبة لبنان سدّوا الطريق
على اللّص والصلّ والأُفعوان
فلا مذهبية في الساح تحبّ
ولا طائفية في البرلمان[2]

كان تصوير أبي سلمى للبنان بالواحة الغنّاء منسجماً مع الواقع: فلبنان يمتاز بهوائه العليل، ومائه النقي الغزير، ومناظره الجميلة، وآثاره الكثيرة، حتى عُدَّ «سويسرة الشرق» وأَمَّهُ السوّاح والمصطافون. والشاعر يرى أن الطائفية تشوب لبنان، وتعكّر أجواءَهُ، وتبدّد هناءَهُ بين الحين والآخر، وكأني به يرجو أن يكون فيه الدين لله، والوطن للجميع، يعيش به أبناؤه متعاونين متآخين، يُفشلون كلَّ فتنة ونزاع، ويرتفعون فوق الخلافات والأنانيات والجراح، فيعيشون متضامنين سعداء، يرتقون بوطنهم إلى مراتب المجد

(١) هزيم وتسابيح، شعر، ص ٣٩.
(٢) علي حسين خلف: أبو سلمى زيتونة فلسطين، ص ١٥١.

والحضارة، وبدون هذه الأريحية تحلّ ـ لا سمح الله ـ الانقسامات والنزاعات. . .

والمتأمل لوعي المخلصين الغيورين على لبنان وسائر بلدان العرب يعجب كيف يرون بيت الداء ـ منذ زمن بعيد ـ بعيون ثاقبة، ويصفون الدواء الناجع، وقليلاً ما يُؤخذ بهذه النصائح: وتُتدارك المخاطر، فنوفّر على أنفسنا أفدح الخسائر. .

خامساً: أبطال عرب

إن الأمة العربية عريقة بالنضال والبطولة، ورغم ما يحيق بها من مؤامرات، وما يحلّ من نكبات، ورغم كثرة المقصّرين والمتواكلين، إلاّ أنها تعجُّ بالأبطال الذين يتحرّقون لمقاتلة الأعداء، وطالما ضحّى هؤلاء في سبيل حرية أوطانهم، وكرامة أمتهم. وسنكتفي بالإشارة إلى بعضهم، لأن عرض أبطال العرب في هذا العصر يحتاج إلى أكثر من كتاب. .

١ ـ أشرت في الفصل الأول من هذا الباب ضمن بحث أحداث سنة ١٩٣٥م إلى ثورة الشيخ عزّ الدين القسّام، السوري المنبع، حيث توجّه إلى فلسطين سنة ١٩٢١، وما لبث أن شكّل منظمة سريّة من مريديه، وقادها في القتال ضد الإنكليز والصهيونية سة ١٩٣٥، إلى أن استشهد في ذات العام، فتغنّت الجماهير ببطولته، ووصف برهان الدين العبوشي سلامة منهجه بقوله: [الوافر]

دعا القسامُ إخواني لنورٍ وأرْشَدَنا إلى غُرر الخصال[1]

وافتخر عبد الكريم الكرمي بذكرى استشهاده قائلاً: [مجزوء الكامل]

قوموا اسمعوا من كلّ نا حيةٍ يصيح دم الشهيد

---

(١) وطن الشهيد، ص ٥٥.

قـومـوا انـظـروا الـقـسّـام يُـشْـ ـرقُ نـورُهُ فـوق الـصـرود[1]

٢ ـ شارك الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، عندما كان لا يزال ضابطاً في صفوف الجيش المصري، في حرب عام ١٩٤٨ في فلسطين، وقاتل في معركة الفالوجة، وأصيب في كتفه، وعلى أيّة حال فإنه أدرك سرّ هذه الحرب، وما رافقها من مؤامرات، وما لبث أن شارك مع رفاقه «الضباط الأحرار» في ثورة عام ١٩٥٢م على النظام الملكي البائد، ثم أمّم قناة السويس، وأقام مشروع السد العالي وغيره من مشاريع التنمية المختلفة، ودحر العدوان الثلاثي عام ١٩٥٨م، وساعد الحركات التحرّرية في العالم، وبمقدمتها ثورة الجزائر، ممّا أغاظ الدول الاستعمارية. وعمل مع الرئيس السوري شكري القوتلي على توحيد قطري مصر وسورية في دولة واحدة سمّيت «الجمهورية العربية المتحدة»، وحمل أمانة غالية تقضي بتحرير فلسطين، ولكنه، ولأسباب عديدة، هُزِم في حرب عام ١٩٦٧، ولم يلبث أن توفي في سنة ١٩٧٠م رحمه الله.

وواكب الشاعر محمد العدناني التطورات المشار إليها، ونظم في معظمها القصائد الجامعة، أعلن فيها حبّه وتقديره للرئيس عبد الناصر، وافتخر بإنجازاته، وعلّق عليه آمال العرب، وفي مقدمتهما تحرير فلسطين.

ويوم وصول الرئيس عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، إلى دمشق، في آذار عام ١٩٥٨م. ألقى الشاعر محمد العدناني قصيدة مطوّلة بعنوان: «مرحباً يا جمال»، جاء فيها [الخفيف]

يا جمالُ الحبيبُ يا شُغْل قلبي ومـنـاراً لـصـبـوتـي، وحـنـيـنـي
أنـت ضـمَّـدْت يـا جـمـالُ جراحي ثـم كـفـكـفـت دمعَ قـلـبي الـحـزيـنِ
نـحـن لـولاك مـا شـمـخـنـا بـرأسٍ وخـلَـعْـنـا أبـرادَ ذُلٍ، وهُـونِ

(١) ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي) ص ٢٣ و ٢٤.

قد بعثتَ الآمالَ في كلِّ قلبٍ بجهادٍ فذّ، وخُلقٍ متين
فرأينا في أُفق يافا الأَماني باسماتٍ، وفي ربوعِ جنين[1]

وهكذا فإن الشاعر العدناني كان مولعاً بحب عبد الناصر، ورأى في تسلمه منصب الرئاسة في مصر نهاية لمرحلة التشرّد والبؤس التي يعيشها الشاعر وشعبه، وبداية لمرحلة جديدة، ستؤول إلى تحرير فلسطين، والعودة إلى مدنها الحبيبة مثل يافا وجنين.

كان هذا الشاعر يجيد الوصف والتصوير لكل مرحلة، بلغة سهلة واضحة، وكان أيضاً يحسن اختيار البحور والقوافي الهادئة ذات النغم الجميل، ممّا جعل شعره يترك وقعاً مريحاً في النفس، سواء في المعنى أو الشكل والقافية، وهذا ما يدلّ على براعته، وانسجامه مع مضمون قصائده.

٣ـ ويرفع كمال ناصر مطالب شعبه إلى الرئيس جمال عبد الناصر، ويناشده أن يعمل على تحقيقها بقوله: [المتقارب]

جمال، ولي في فلسطين حقٌّ وحقّ شبابك لم أجحد!
جمال نريد انطلاقاً جديداً ونصبو إلى عالمٍ أجود
وإن ضلَّ بعضُ الرفاق قليلاً فلا تضعفنَّ ولا تحقد
غدوتَ وحيداً على الدرب فاصمد سيخلو لك المجد إنْ تصمد[2]

٤ـ وينادي كمال ناصر وهران، وجهاد الجزائر، مستفسراً عن فارسها الأَبيّ، علّه طيف لأحمد بن بيلا، القائد المجاهد، الذي كان مقيّداً في أحد سجون فرنسة، في حين كان رفاقه يواصلون الكفاح المسلّح على أرض الجزائر، ضدّ القوات الفرنسية المستعمرة: [الخفيف]

يا روابي وهران في موكب التّيه ويا نبعة الجهاد الطاهر

(١) فجر العروبة، ص ٢٦ و ٢٧.
(٢) الآثار الشعرية، قصيدة «إلى جمال» ص ١١١.

من ترى الفارس الأَبي على السفح مهيباً يشعّ بين المنابر
يثبت النور حوله مثلما الحلم الرقراق في خيالات شاعر
أتراه طيفاً بدا لابن بيلاً مشرقاً بالعطاءِ يقظان ساهر
هبّ من سجنه الرهيب على الشوق ليحظى بصحبه في المغاور
ربّ ليثٍ مكبّل في فرنسه عربي الجنان ظمآن صابر
لم يزل منه في الوجود زئيرٌ تدّعيه على الوجود القساور[1]

٥ ـ وجميلة بوحيرد، مناضلة جزائرية بطلة، شاركت في الثورة الجزائرية بحماسة ونشاط، مثل أشجع الرجال، ولكنها ما لبثت أن وقعت أسيرة في قبضة القوات الفرنسية، وتحمّلت عذاب السجون من أجل حرية الوطن واستقلاله، فاستحقت أن تفخر بها أمتها العربية، فتغنى حنّا أبو حنا ببطولتها قائلاً: [مجزوء الرَّمل]

يا جميله، حسنك الفتان من سحر البطولة
وبهاء من جمـــال البـذل والروح النبيلة
يـــا نـداءً يلهب النخـوة فينا والرجولة
تتغنّى..، إننـــا شعب «رجاء» و«جميلة»

* * *

يا جميلة، أنتِ يا أنشودة التحرير في أفق الجزائر
ولحون النصـــر في ثغر سلاح كلّ ثائر
وبريق الثأر لمّاحاً على نصل الخناجر[2].

---

(١) الآثار الشعرية، قصيدة «في رحاب الجزائر»، ص ١٩٦.

(٢) نداء الجراح، قصيدة «رسالة إلى جميلة»، ص ٨٤ و ٨٥. أصيبت رجاء أبو عماشة برصاصات قاتلة بينما كانت ترفع العلم العربي خلال مظاهرة في الأردن ضد حلف بغداد.

وسطّرت جميلة وأحمد بن بيلا ملحمة بطولية خالدة، ليس في حياة الجزائر وحسب، بل في حياة الأمة العربية أيضاً، وإذا كان أحدهما ناراً محرقة للعدو في المعركة، فقد ظلّ شوكة بل خنجراً في خاصرة فرنسة والسجّانين، تقضُّ مضاجعهم..، ولمّا خرجا من السجن تابَعَا حركة النضال المشرق في حياة الجزائر المستقلة، وبات تاريخ الأبطال الأُباة مفخرة، وسفراً معطراً بالبطولة تتفتّح له قرائح الشعراء...

سادساً: أقطار عربية وزعماء عرب

تشكل الأقطار العربية مجتمعة أمة العرب ذات الأمجاد الغابرة والحضارة الزاهرة.

إن وحدة الأمة، ونجاتها من تعدّد الزعامات، وانضواءها في ظلّ زعامة واحدة عادلة ومخلصة، يُسهم في قيام تعاون أوسع بين هذه الأقطار، وفي تنمية الأمة وإنتاجها، بعيداً عن الأنانيات والمصالح الفردية.

١ ـ يتغنى علي هاشم رشيد بآمال أمته الموحدة، التي تشفيه من آلامه، وتبدّد بؤسه، وتطرد يأسه، حيث يقول في قصيدة «قوميَّتي العربية»: [مجزوء الرَّمل]

أمتي يا مشرق الآمال في أعماق نفسي
أمتي يا لهباً يحرق آلامي وبؤسي
أمتي يا ثورة قد مزّقت أشباح يأسي
أمتي بأسمك قد أقسمتُ أن أرفع رأسي
وبروحي أفتدي قوميتي من كلّ بأس
إنها قوميتي تجري دماً في كلّ عرقِ

إنها البابُ إلى حرّيتي من كلّ رقّ

إنها السيف الذي من حقّه يُشرق حقّي

إنها العودة للأرض بإيمانٍ وصدق[1]

يشيد الشاعر بأمته، ويستنتج أن القومية هي عماد الحرية من كل عبودية، وأنها أيضاً مصدر القوة التي تنتزع الحقّ ولا تحميه، لأن الاستجداء لغةُ الضعيف الذي يكاد لا يحصل على أكثر من بعض حقه، ويتوقع الشاعر النصر لمن يحافظ على قوميته...

٢ ـ وللشاعر حسن البحيري نظرة خاصة في «عيد العروبة»، حيث يقول: [البسيط]

عيد العروبة يومٌ تستقلُّ به من نير مستعمر أو غلّ منتدب

ويوم تخفقُ في أجواء عزتها على أعالي الأمالي رايةُ العَرَب[2]

فالعيد يكون ـ برأي البحيري وسائر المخلصين ـ يوم يستقلّ العرب من سلطة الانتداب والمستعمرين، وترتفع رايات الحرية عالية خفاقة في بلاد العرب، وتتحقّق أمانيهم، وتعمّ السعادة الصافية أرجاء الوطن كافة.

٣ ـ وأبو سلمى الذي أحب بلاده وأطفالها لا ينسى أن يتحف البلاد والعباد بأغنية رائعة للأطفال، أسماها «الوحدة العربية»، هادفاً إلى تثقيفهم ورفع معنوياتهم، وبثّ روح النشوة والوطنية في نفوسهم، وتستحقُّ هذه الأغنية أن تعتبر مفخرة للعرب يردّدها الأطفال في المناسبات القوميّة، وفي ساعات الفرح والبهجة، وقد أنطق الشاعر كلَّ قطر عربي ببيتين من الشعر، ضمّنهما ميزات كل قطر، حيث يقول:

---

(١)ديوان أغاني العودة، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) ابتسام الضحى، ص ١١٦.

سورية: [مجزوء الوافر]

أنا الفجر منير الكون قلبُ العرب سوريَّهْ
وتاريخي بطولاتٌ وأمجادٌ وحرِّيَّهْ

لبنان: [مجزوء الرمل]

النسيم العذبُ والماءُ الذي يَشفي العليلْ
كل ما يفتِنُ عِندي أنا لبنان الجميلْ

مصر: [مجزوء الرمل]

أنا والنيلُ كِلانا رمزُ عِزٍّ وَحَمِيَّهْ
سائلِ الأَجيالَ عنَّا أنـا مِصْرُ العربيَّهْ

الحجاز: [مجزوء السريع]

أنا الحجاز لي وطنْ ما أَرخصَ الروحَ ثَمَنْ
قد علّم الناس الهدى وكيف تحطيم الوثنْ

تونس: [مجزوء الرمل]

تونس الخضراءُ داري دارُ عِزٍّ وفخارِ
في ظلالِ المجدِ نحيا مِنْ صِغارٍ وكبارِ

الجزائر: [مجزوء المجتث]

إني هوى كلّ ثائرْ أنا ربُوعُ الجزائرْ
وللعروبةِ يحيا أحرارُها والحرائرْ[1]

لقد تمكَّنَ الشاعر من التعبير عن ميزات كل قطر بكلمات قليلة، وبلغ

(١) ديوان أبي سلمى (عبد الكريم انكرمي) ص ٣٧٩ ـ ٣٨٣.

ذلك حدود البلاغة في القول والمعنى، وأَنْطَقَ كلَّ قطرٍ على لسان الأطفال، فنقل إلى ذهن القارىء والسامع بعض ميزات كل قطر، ثم نقلهما من قطر إلى قطر، بأسلوب سهل مشوّق: ويدُلُّ هذا على براعة الشاعر وخفة روحه، فضلاً عن نبيل هدفه وسموّ المشاعر الوطنية لديه.

٤ ـ وفي قصيدة «مصر»[١] يردّد برهان الدين العبوشي آيات المدح لمصر، ويعدّد الروابط التي تجمعها بالعرب قائلاً: [الطويل]

سنا المجد والعلياء في النيل بارق ... وجوّ المعالي من سجاياه رائق
تجلّت معاني العزّ في عزم جيشه ... وفاخرت الإفرنج فيه المشارق
فلا شبل كابن النيل في حبّ يعرب ... ولا مثل عزّ النيل تحوي المفارق
تهشُّ ضواحي مصر إن زارها أخٌ ... وتحنو عليه باليسار المرافق[٢]
فلا تعجبوا إن جنَّ «عمرو» بحبّها ... كما جنّ في الإسبان (موسى وطارق)
هنالك نورُ العِلْم قد شعَّ نورُها ... وفي الأزهرِ الميمون صُفَّت سرادق
ففي عزّها عِزٌّ لنا لا نبيحه ... ومن خيرها خيرٌ على العُرب دافق
يوحِّدنا التاريخ والدين والحجا ... وإني بجمع الشمل للّه واثق[٣]
سيخفق في أفق السماوات بندُنا ... وترقص في يوم الجهادِ البنادق
فنرفع شبل النيل للأفق ظافراً ... وتسعى فلسطين لمصر تعانق[٤]

ويغدق الشاعر على مصر أجمل الثناء. ويفاخر الدنيا بمجدها الرفيع، ونيلها البديع، وجيشها المنيع، ويرى أنّ ابن النيل يبزّ سواه في حبّ العرب، ثمّ يشيد الشاعر بميزات أهل مصر من كرم ضيافة، إلى لطف ترحاب،

(١) رفع الشاعر هذه القصيدة لمصر يوم زار والكشافة الإسلامية بحيفا البلاط الملكي، واحتفت يومئذ بهم مصر احتفاء عظيماً.

(٢) يعني بذلك أن مصر ترحّب بأبناء العروبة وتفرح بهم.

(٣) كان أهل فلسطين يتمنون يومئذ الانضمام إلى أي قطر عربي لينجوا من أطماع الصهيونية، ولكن حظّهم كان سيئاً لأنهم طُرِدوا من بلدهم، ولم تتحقق أهدافهم...

(٤) ديوان جبل النار، ص ٩٤ و ٩٥. طبعة بغداد ١٩٥٦م/ ١٣٧٦هـ.

ولذلك شغف عمرو بن العاص بها. ويشير إلى فَضْل الأزهر فيها، ويؤكّد أنّ عزَّها عزٌّ للعرب، وخيرَها خيرٌ لهم. بعدئذ راح الشاعر يعدّد روابط التاريخ والدّين والآمال والآلام والمصير التي تربط مصر بسائر العرب، وأعرب عن تمنياته بالوحدة الشاملة، وتفاءل بٱنتصار العرب وخفق رايتهم، وأكد أن فلسطين تسعد بذلك، وتقترب من ساعة النصر والفرج.

إنّ هذا الشعر مطبوع، بعيد عن المغالاة، صادر عن مشاعر صادقة وحارّة، عبر كلمات سهلة، ذات دلالة واضحة، ممّا يدل على وعي الشاعر وحكمته وبراعته، وحبّه لمصر، وتوقه إلى بلوغها أسمى مراتب العزّة والمجد والازدهار.

ونحن نرى أن شعور هذا الشاعر وإخلاصه وتمنياته ترقى به إلى مصافّ أنبل الشعراء، وأفضلهم شعراً ومضموناً.

٥ ـ وبعد أن اشتدت المعارك بين العرب واليهود في فلسطين، وتساقطت بعض القرى والمدن بأيدي المنظمات العسكرية الصهيونية، فارتكبت في دير ياسين والقسطل وغيرهما مجازر وحشية مُسْتَنْكرة، ودخلت الكتائب العربية إلى فلسطين، بدأنا نشهد عقد الهدنة تلو الأخرى كلّما شارف العرب على تحرير موقع، وحتى يُتمّ اليهود استعداداتهم لخوض معركة جديدة، إزاء ذلك كلّه لم يقم زعماء العرب بإجراءات أنجع، وأعمال أنفع، حتى شهدنا الكتائب العربية تتراجع أمام زحف اليهود، إلى أن سقطت معظم الأراضي الفلسطينية بأيدي الأعداء سنة ١٩٤٨. ويعلّق الشاعر محمود سليم الحوت على تلك الحال آسفاً وساخراً بقوله: [البسيط]

في كل يوم ذئاب الذلّ تنهشنا ... إلى متى الصمتُ والأقداس تُنْتَهَكُ؟
أَلَمْ يقولوا لنا قد وقَّعُوا هدناً؟! ... نِعْم الذين بها من أمتي اشتركوا
ضاعت فلسطيننا و«السبع» ليس لها ... إلاّ البهارج في الأقوالِ معترَكُ

يا أمّة في ظلام الذل هاجعة قد صال ليلك فليهنأ بك الحلكُ
إن الذين ارتقوا بالشعب وانطلقوا إلى ذرا المجد أخلوها ميادينا
أخفقتم في مجال الحكم فانصرفوا عن وجهنا يا حُمَاةَ عبقرينا[1].

إنها مكاشفةٌ صريحة بما جرى، ونداء جريء للفاشلين أن يتنحّوا...، وهل في وسع الشاعر أن يفعل أكثر من ذلك؟! وفي هذه الحال لا بدّ للمتبصر العادل من التساؤل عن دور الجيوش العربية وقادتها، كي يقوموا بدورهم المنتظر، وهذا ما يذكّرنا بثورة الضباط الأحرار في مصر عام ١٩٥٢...

٦ ـ ويعيب محمد العدناني على الزعماء العرب خلافاتهم التي أدّتْ إلى فرقتهم وضعفهم، والكُلُّ يُدْرِكُ ما لحق بالعرب من جرّاءِ ذلك. يقول الشاعر في هذا الشأن: [الوافر]

لقد ضاعت فلسطين ولمّا نُعِدّ لخصمنا حرباً زبونا
أليس الذئب يفتُكُ بالمواشي إذا ما باتَ حارِسَها الأمينا
وليس على سوى الراعي ملامٌ إذا هو لم «يُجَنْدِلْهُ» جنينا

* * *

أيا زعماءنا خلُّوا التلاحي فقد ذُقْنا أذاه مُشَتَّتِينَا
ونِمْنا فوق بركان الرزايا وقد ثارت منايانا جُنُونا
دَعُونا من تفرّقكم دعونا وكونوا كالصَّفَا متماسكينا[2]

أليست الفرقة سبباً للضعف وانقضاض العدو على فريسته؟! من هنا فإن الشاعر العدناني لا يعبّر عن ضميره وحسب، بل عن ضمير الأمة، التي نكبت نتيجة للشقاق والنزاع بين الزعماء، مع العلم أن المعركة تتطلّبُ توحيدَ

(١) ملاحم عربية، ص ١٩٣ و ١٩٤.
(٢) ديوان اللهيب، ص ١٤٢ و ١٤٣.

الجهود، وتكريس الطاقات للقضاء على مَوْطن الداءِ وأَصلِ البلاء.

سابعاً: الجامعة العربية

وعندما تحقق حلمٌ كبير من أحلام الأمة العربية بتأسيس جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥، استبشر العرب خيراً بذلك، آملين أن تستطيع خدمة هذا المجتمع وتحقيق أمانيه، وأهمها توفير سبل التلاقي والتفاهم والتعاون في المجالات المختلفة: الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية والعسكرية والسياسية وغيرها.

وكان للشعراء حضورهم الكبير في هذه المناسبة، لا سيَّما وأنهم يُعَدُّون في مقدمة الدّاعين إلى وحدة الصف العربي، ومضاعفة التعاون، وحلّ القضايا المختلفة.

١ ـ ورحّب محيي الدين الحاج عيسى بتأسيس هذه الجامعة، التي قامت بين أقطار تربط بينها أواصر العِرق واللغة والتاريخ والأهداف والمصير، فقال في قصيدة «الجامعة العربية»: [الصويل]

كفانا من الماضي بلاءً ومحنةً ... وطول احتباسٍ عن جليلٍ يُقَرّرُ
أليس لنا من وحدةِ العِرْق مخبرٌ ... أليس لنا من وحدة النُّطق مظهرُ
أما بيننا من أقدم الدّهر إلفةٌ ... أواصرُ قربى بالمفاخر تُشْهَرُ
أليسَ لنا التاريخُ أدنى رداءَه ... فأضحى بأقلامه الفخارُ يُحَبَّرُ
إلى الوحدةِ الكبرى إلى المجد والعلا ... إلى حيث نسمو في الأنام ونُذْكَرُ
إلى رايةٍ ما أَطيب الموتَ عندها ... إلى غايةٍ مُثْلى وقيدٍ يُحَرَّرُ[1]

يدعو الشاعر العرب إلى أخذ العبرة من المحن التي شهدوها، والتجارب التي خبروها، ويُنْبِئُهم أَنه قد حان وقت الوحدة، علَّنا نعود كما

(١) من فلسطين وإليها، ص ٤٧.

كان أجدادنا الذين وحّدهم التاريخ. أجل التاريخ الذي سُجّل بأقلام الفخار، فارتفعوا إلى ذُرا المجد والعلا. وانتهى الشعر بالدعوة إلى حماية الوحدة، وفداء رايتها بالمهج والأرواح.

٢ ـ ويوم أُقيم احتفاءً بمرور العام الأول على توقيع ميثاق جامعة الدول العربية أنشد الشاعر محمد العدناني قصيدة «يوم العروبة» جاء فيها: [البسيط]

عيدَ العروبةِ قد زوّدْتَنا أملاً ... واليأسُ عاتٍ فزادُ العيشِ آمالُ
لمّتْ شتاتَ أُباةِ الضَّيم جامعةٌ ... أساسُها العزمُ والمجدُ الذي نالوا
وهزّتِ العُربَ روحٌ من مفاخرهم ... فاستأثَرُوا بالعُلا والدهرُ صوّالُ
وحَطّمُوا القيدَ لا غربَ يَسُومُهُم ... خسفاً ولا يَخدعُ الصبّابةَ الآلُ
عَهْدُ المذلّةِ قد ولّى ووخدَتُنا ... كفيلةٌ بِمُنى كالغيثِ تَنْهالُ
لِيَهْنَأ العُرْبُ هذا العيدُ مُؤْتَلِقاً ... كالصُّبْحِ حفَّ به يُمْنٌ وإجلالُ
ويا رجالاتنا دامَتْ مراجِلُكم ... تَغْلي بها هِمَمٌ شُمٌّ وأعمالُ[1]

يرى الشاعر أن عيد ميثاق الجامعة العربية قد أحيا الأمل في قلوب أحرار العرب، ولمّت هذه الجامعة شتاتهم، وجمعتهم صفّاً واحداً، فاستأثروا بالعلا، وهم له أهل، وحطموا قيود الذل والاحتلال، وتحرروا، وولّى عهد العبودية، وباتت الوحدة كفيلة بجني الثمار وتحقيق المنى.

وهكذا جاء هذا العيد مشرقاً وضّاحاً، ازدهت فيه بلادُ العرب بالفرحة، وامتلأت قلوبُ الجماهير بالهناء والسعادة

لقد تدفقت المعاني الكبيرة من قلب الشاعر في ألفاظ مألوفة واضحة، وانساقت في وزن البحر البسيط التام، فكان لها طنين في الأذن، ورنين في القلب، فاستعذبتها الرّوح، وانشرحت لها الصدور.

---

(١) ديوان اللهيب، ص ٥٥ ـ ٥٦.

٣ ـ ونظم عبد الرحيم محمود قصيدة «عيد الجامعة العربية» قال فيها: [الكامل]

عيد بأحناء الصدور يقامُ ... من وَحْيِهِ الأَشعارُ والإلهامُ
جمعَ الشتيتَ فكلُّ دُرَّة ... في تاجه والوحدة النظّامُ
فإذا تشكّى النيل من آلامه ... شقّت مرائر دحلة الآلامُ
وإذا تنادى المغرب الأقصى لدى ... جلّى استجابت لنّداء الشامُ
ذهبت خرافات الجدود فكلّها ... وطن لنا لو صحّت الأفهامُ[1]

بعد هذا حق لنا أن نُشير إلى أن هذه الجامعة لم تستطع أن تحقق جميع الآمال المعقودة عليها، لأسباب عديدة لا مجال لذكرها. غير أنها حققت فوائد جمّة، وتمكّنت من حلّ مشاكل عديدة كانت عالقة بين الأقطار العربية، لا سيَّما بعد انعقاد مؤتمرات القمة العربية، وساعدت على قيام تعاون مقبول بين الأقطار العربية، غير أنها لم تستطع أن توحد هذه الأقطار في دولة واحدة، ولم تستطعْ أيضاً أن تحقق حلاً مُشَرِّفاً لفلسطين وأهلها، ولا أن توجد سوقاً تجارية مشتركة بين أقطارها على نسق «السوق الأوروبية المشتركة»، وهي ما زالت تسعى إلى مضاعفة جهودها وتعاون أعضائها، والقيام بمسؤولياتها على أكمل وجه، ومعالجة شؤونها وسائر القضايا التي تواجهها.

ثامناً: مدن عربية

تغنّى شعراء فلسطين بالمدن العربية، بحضارتها، بنضالها، بجمالها وسائر ميزاتها، وناشدوها أن تهبّ لنجدة أَخواتها المدن الفلسطينية والأرض الفلسطينية كافّة، إذ لا كرامة ولا سعادة للعرب دون تحرير الوطن المقدّس،

(١) ديوان عبد الرحيم محمود، ص ١٤٤.

وفي مقدمة هذه المدن دمشق، القاهرة، بورسعيد، الجزائر، بيروت، بغداد وحلب.

١ ـ لقد تغنّى عبد الكريم الكرمي بدمشق وقال: [الكامل]

حَمَلَت دمشقُ رسالة العَرَبِ ... أُمويَّة الأعطاف والنَّسَبِ
شابَ الزمان على مشارِفها ... ودمشق في الرَّيعان لم تشِبِ
قد جمَّلَ التاريخُ غُرَّتَها ... فَسَمَتْ على أترابِها العُرُبِ
عَصَبَتْ أُميَّةُ فوق مفرِقها ... أبهى من التيجان والقَصَبِ

* * *

فمتى تمدُّ الشامُ أجنحةً ... وَتَرِفُّ فوق ربوعنا الخُصُبِ
هذا الجناحُ يموت في حلبٍ ... وجناحُها الثاني على «النَّقَبِ»
متى يُطِلُّ الفجرُ مؤتلقاً ... وترى بلادي النورَ عن كثبِ
هذي فلسطين، العروبة في ... تحريرها، حُرِّيَّةُ العَرَبِ[1]

٢ـ وهذا يوسف الخطيب الذي طالما تغنى بسورية وحزب البعث ودمشق، يقول في قصيدة «دمشق مبتدأ الدنيا»: [البسيط]

دمشق مبتدأُ الدنيا وإن خَبَرٌ ... فمِنْ أُميَّةَ ملءُ الكونِ أخبارُ
غوثاً أيا شامُ، من إلاَّكِ تَنْدُبُهُ ... مدى المحيطين، أنجادٌ وأغوارُ
عَهِدْتُ أنكِ أنتِ القوم ما اجترأت ... حمى العروبة أشلاءٌ، وأقطارُ[2]

٣ ـ ويوجه معين بسيسو قصيدة بعنوان «إلى جدران بيروت» قائلاً:

بيروت، إننا هنا
تعلَّمَتْ أصابعي على جدرانك الكتابهْ

---

(١) ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي)، قصيدة دمشق، ص ٢٨٤ و ٢٨٥.
(٢) مخطوطة قصائد مستقلة بعنوان: «مختارات من الأعمال الشعرية الكاملة» ص ٢٨٩.

علمتُكِ الكتابهْ

دمي على أصابعي يسيلْ

ضدَّ كل من لوّنوا الوحولْ

* * *

أطفالنا، سيحملون كيسَ رملكم

أطفالكم، سيحملون كيسَ رمنا

ولن يمرَّ من هنا، القراصنة[1]

يؤكد معين بسيسو أن مصير ثوّار فلسطين وسكان لبنان واحد، وهم يقتسمون الطعام والدواء والرصاص، وعليهم بالتالي أن يتعاونوا في إعداد العدة للقتال، والسير معاً في هذه الطريق، كي يتمكنوا من الصمود أولاً، وتحقيق النصر ثانياً.

٤ ـ ويفخر عبد الكريم الكرمي بالعراق وبغداد والجزائر وبطولاتها وتاريخها المجيد قائلاً في قصيدة «بعداد»: [المتقارب]

شعبي هنا وهناك ثائر ... فجرُ اللهيب اليومَ ساحر

شعبي الذي نشر اللهيب ... من العراق إلى الجزائر

بغدادُ أنتِ أغنيّةٌ ... يزهو بها فمُ كلِّ شاعر

بغداد أنتِ أنشودة الـ ... أمجاد تعزفها المزاهر

تاريخ شعبي أنتِ يا «بغـ ... ـداد» تاريخُ المفاخر

نادتْكِ يا بغدادُ يافا ... فامسحي دمعَ المحاجر

ثم ارفعي الراياتِ تخفـ ... ـق في السّفوح وفي الحواضر

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٦٤٠ و ٦٤٤ .

بغدادُ!.. أحرفُكِ المضيئة زيَّنَتْ مرج (ابن عامر)[1]

٥ ـ ويباهي محمود سليم الحوت الدنيا بقلعة المجد والصمود مدينة بورسعيد، إذ يقول: [الخفيف]

أنت يا بورسعيدُ يا قلعة المجد تباهي يطيبُ منك التباهي
وقفي وقفة الجبال الرّواسي لا تبالي بالكالحات الدّواهي
غاية المجرمين أن يهنَ العرمُ فيأتوا بآمرِ وَبِناهِ
قلعةٌ أنتِ من ثباتٍ عنيدٍ يتحدَّى... رعشك عينُ الإلٰهِ
أنتِ أسمى من الخلودِ وأبهى في الثياب المضرَّجاتِ الزّواهي[2]

تاسعاً: أدباء عرب

خاطب شعراء فلسطين عدداً من الأدباء العرب، بين ترحيب بزيارة أو مدح حيناً، وبين لوم وعتاب حيناً آخر، ورثوا بعض من غيَّبهم الموتُ أيضاً، انطلاقاً من كونهم أبناء أمة واحدة، تجمعهم أواصر القرى، وهذا ما يلزمهم بالتعاون، والتفاعل مع أحداث الاقطار الشقيقة، إذ إننا «في الجرح والآلام إخوان».

١ـ نظم كمال ناصر «أنشودة لشوقي»، قال فيها: [مشطور الرمل]

سجد الفنُّ لشوقي في قصيده
وله الوحيُ تجلّى في نشيده
سوف يبقى للزمن للعلا وللوطن
يا أمير الشعر مجداً وتحيه
شعرُكَ الدريّ آي سرمديّه

(١) ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي) ص ٢٣٩ .
(٢) ملاحم عربية، ص ٨٥.

أَلْبَسَتْهُ الجِنُّ تاجَ العبقريّه
عظَّمَتْهُ الشعراء رَفَعَتْه كاللواء[1]

٢ـ وألقى إسكندر الخوري البيتجالي قصيدة «مهرجان شوقي» في إحدى الحفلات بمصر قال فيها: [الكامل]

هذي عكاظ تقام في مصر ... اليوم يومكِ ربّة الشعرِ
شوقي ومن في الناس يجهله ... ربُّ البيان وشاعرُ العصرِ
ومعيدُ مجدِ الشعرِ في زمنٍ ... أودى بمجد الشعر والنثرِ
فكأننا الأعشى وصاحبُه ... حسّانُ يتلو أحسنَ الشعرِ
شوقي فديتُك إنَّ نهضتنا ... قامت بفضل بيانك السحري
روحٌ سَرَتْ في العُرب قاطبةً ... في لشام، في بغداد، في مصرِ[2]

كانت تقام حفلات للشعر في النوادي وغيرها، وأخذ الأدباء يشبّهونها بسوق عكاظ، وبرز شوقي فيها نجماً لامعاً، وأميراً للشعر، أَتحفَ الأمة العربية بأروع الشعر وأبلغه.

٣ ـ وعندما زار الأديب البارع أمين الريحاني فلسطين سنة ١٩٢٧ رحّب به أدباؤها، وبمقدمتهم إبراهيم طوقان، الذي ألقى بين يديه قصيدة «تحية الريحاني»، ثم شكا إليه حال الناس، قائلاً: [الخفيف]

مَرْحَباً بالثقافة العربية ... تتجلّى في روحك الشرقيّة
مَرْحَباً بالحكيم محيي المعري ... مرحباً بالنبوغ والعبقريَّة
مَرْحَباً بالعظيم أكرم ضيف ... لملوك الجزيرة العربية
فيلسوف الفريكةِ الصائب الرأ ... ي ربيب الحريَّةِ الفكرية

* * *

جئتَ والقومُ يا أمين سُكارى ... وعبيد المآرب الشخصية

---

(١) الآثار الشعرية، ص ٢٨.
(٢) ديوان العنقود، ص ١٩٦ و ١٩٧.

نبّهِ القومَ يا أمين وَسَلْهم أين باتت تلك النفوسُ الأَبيَّة
وعزيزٌ عليَّ أن تبصرَ العيـ ـنُ فلسطين وهي تُعْطَى هدِيَّة
أيُّها الفيلسوفُ جئتَ بخير فسلاماً وراحةً وتحيَّة
دمت حتى تشاهد العُرب طرّاً في ظلال السلام والحريَّة[1]

ويبدو جليّاً أن الضيف كان يُستقبل في فلسطين بالحفاوة والتكريم ويُودّع بمثلهما، وكانت للريحاني مكانة خاصة ومحبة وتقدير عاليين في قلوب أصدقائه، ممَّا شجَّع مستضيفيه على بثّه الشكوى والألم، ومصارحته بواقع حال الشعب، وطلب المساعدة منه في تنبيه القوم، وتبصيرهم بالمؤامرة.

ويبقى السؤال المهم عن مدى وعي إبراهيم وتبصّره للأمور وتخوّفه من ضياع فلسطين، نتيجة للمؤامرات المتتابعة، ومناشدته للعقلاء والمخلصين في كل قطر عربي، لاستدراك الموقف... وإفشال المؤامرة قبل فوات الأوان...

ووجّه إبراهيم طوقان عتاباً إلى شعراء مصر سنة ١٩٢٩ م قال فيه: [الخفيف]

جئتكم عاتباً بلابلَ مصرَ بلبل الروض عتبه ألحان
وتسامى صرحُ العروبة في مصر وهل غيركم له أركان
كم بلادٍ تهزّكم ليس فيها لكمُ جيرة ولا إخوان
خطبنا لا يهزّ (شوقي) ولكن جاء رومه فهزّه الرومان
خطبنا لا يهزّ حافظ إبرا هيم لكنّ تهزّه اليابان
ما لمطران يا فلسطين شأن بكِ لكن له بنيرون شان[2]!!

(١) ديوان إبراهيم، ص ٤٥ و ٤٦.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٨.

وهكذا يعتب إبراهيم طوقان على شعراء مصر وعلى خليل مطران تقصيرهم بشأن أحداث فلسطين سنة ١٩٢٩، من خلال هذه القصيدة الطويلة ذات القافية المطلقة، ويذكّرهم باهتمامهم برومة واليابان ونيرون، ويعجب كيف لا يكون اهتمامهم بفلسطين أكبر، ويأمل أن يكون جرح فلسطين جرحهم، ومصابها مصابهم، فالخير والشرّ ينعكسان على الجميع، شاءُوا ذلك أم أَبَوا، وليس من بلد أحقَّ من فلسطين بالاهتمام، وهو يأمل أن يتضامنوا معها، ويذودوا عنها، والعزَّةُ في الكفاح ورضا الضمير.

obeikandl.com